الفصل التمهيدي

(نشأة الأزهر وتطوره)

1 – بناء الفاطميين للأزهر .

2 – الأزهر في العصر الأيوبي .

3 – الأزهر في العصر المملوكي .

4 – الأزهر بعد العصر المملوكي .

5 – التنظيم الإداري للأزهر .

6 – القوانين المنظّمة لعمل الأزهر الشريف .

obeikandl.com

obeikandl.com

1 - بناء الفاطميين للأزهر

بعد نجاح الفاطميين [1] في تأسيس دولتهم في بلاد المغرب العربي على يد زعيمهم أبي عبد الله الشيعي وفي عهد محمد عبيد الله المهدي[2] في سنة 297هـ/ 909م تطلعوا لفتح مصر وإقامة دولتهم فيها وكانت مصر محط أنظار الفاطميين لأسباب عديدة، منها قرب مصر من بلاد المغرب العربي حيث قامت الدولة الفاطمية ، وأيضاً قرب مصر من ناحية الموقع الجغرافي من مقر الدولة العباسية التي تمثل الخلافة السنية المنافسة للخلافة الفاطمية الشيعية بالإضافة لرغبة الفاطميين أنفسهم في الاستقرار بمصر تخلصاً من الثورات والحروب التي كانت تقوم ضدهم في بلاد المغرب [3] ، وأيضاً لقرب مصر من بلاد الحجاز حيث يجعل من يسيطر عليها تصبح له الزعامة في العالم الإسلامي.

لهذه الأسباب أرسل المعز لدين الله الفاطمي الخليفة المقيم في بلاد المغرب ، قائده جوهر الصقلي[4] على رأس جيش لفتح مصر في سنة 358هـ/ 969م واستطاع هذا القائد فتح مصر بعد فترة قصيرة ، وتم القضاء على الدولة الإخشيدية التي كانت تحكم مصر في ذلك الوقت .

---

1 - الفاطميون: هم الشيعة الإسماعيلية ، الذين يقولون أن الخلافة انتقلت من جعفر الصادق ، إلى ابنه إسماعيل، ويعتقدون أنه مات أثناء حياة أبيه . انظر العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1998م ، ص198. وانظر أيضاً الشهرستاني : الملل والنحل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1990م ، جـ1 ص131. وانظر أيضاً مصادر الشيعة مثل كتاب الكافي الذي ورد في كتاب عبد المنعم النمر: الشيعة والشروز ، دار الحرية ، القاهرة ، 1987م ، ص20.

2 - اختلف المؤرخون في نسب عبيد الله المهدي ، حيث إنه كان يقول أنه من نسل جعفر بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ونسبوه مرة للقرامطة ، ومنهم من نسبه للمجوس ، ومنهم من أرجع نسبه إلى يهود السالمية في الشام وقالوا أنه كان يعمل حداداً . انظر ابن عزاري . البيان المغرب ، دار الثقافة ، لبنان ، 1967م ، ص 158 ؛ وانظر الاسحاق النوفي : أخبار الأوّل في من تصرف في مصر في أرباب الدول ، وزارة الثقافة ، مصر ، 1998م ، ص116، 117 .

3 - لبيان هذه الحروب ، انظر ابن عزاري : المصدر السابق ، ص222 ، 223 .

4 - جوهر الصقلي : أبو الحسن جوهر بن عبد الله ، كان مشهوراً بلقب الكاتب ، وكان من موالي المعز بن المنصور ابن القائم بن المهدي. انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان 1968م ، جـ1 ، ص375 ، 376.

وبعد إتمام عملية الفتح ، بدأ جوهر القائد في إرساء دعائم مدينة القاهرة ، والتي ستصبح عاصمة للدولة الفاطمية ، وقد تم اختيار موقع العاصمة إلى الشمال من مدينة الفسطاط [1] ، وتم تقسيم المدينة الجديدة إلى عدة خطط لكل قبيلة خطة عُرفت باسمها . كما قام جوهر الصقلي بإنشاء سور حول المدينة وجعل له عدة أبواب ، ثم تلى ذلك إنشاء مجموعة من القصور التي خُصِّصت لنزول الخلفاء الفاطميين [2] ، ثم أرسل جوهر للخليفة المعز لدين الله يطلب منه القدوم فحضر عن طريق البحر في أسطول كبير مكوَّن من سبع سفن [3] وسكن القاهرة التي كانت تسمى جامعها الشهير المعروف باسم جامع القاهرة الذي بناه جوهر الصقلي أيضاً.

بناء الفاطميين للأزهر:

كان هدف جوهر الصقلي من بناء الجامع الأزهر هو أن يكون مقراً لنشر الدعوة للمذهب الشيعي ، ولكي يكون رمزاً للدولة الفاطمية ، على الرغم من وجود عدة جوامع كانت قائمة في القاهرة آنذاك ، مثل جامع عمرو بن العاص ، وجامع أحمد بن طولون ، ولكنها كانت خارج المدينة الجديدة ، كما أن إنشاء جامع جديد تُمارس فيه الشعائر الدينية الشيعية بحُرية [4] يبعدهم عن الصدام المتوقع مع المصريين من أهل السنة ، وقد بدأ جوهر العمل في وضع أساس هذا المسجد في يوم السبت من شهر رمضان الموافق سنة 359هـ/ 970م ، واستغرقت مدة بنائه ما يقرب من سنتين ، حيث تم الفراغ منه في

---

1 – من الأسباب التي ساعدت الفاطميين على فتح مصر ، انظر المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، دار الهلال ، القاهرة ، 1998م ، ص40 وانظر أيضاً ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ1 ، ص346 ، 347 . وأيضاً ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1969م ، ص188 . وانظر أيضاً محمد جمال الدين سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية ، النهضة المصرية ، القاهرة ، 1960، ص 31 – 33 .

2 – ناصر خسرو : سفر نامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1993م ، ص 102 .

3 – المصدر السابق ، ص 107 .

4 – من الشعائر الخاصة بالشيعة الأذان يكون بعبارة «حي على خير العمل» وجهر القراءة بالبسملة . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ1 ، ص379 .

اليوم السابع من شهر رمضان لسنة 361هـ/ 972م. وأقيمت فيه صلاة الجمعة حيث وافق افتتاحه يوم الجمعة . ويوجد بالجامع طلسم لكي لا يسكنه عصفور ولا يفرخ فيه بيضة [1] ، كما توجد كتابة على دائر القبة التي تقع ما بين المنبر والمحراب كالتالي «بسم الله الرحمن الرحيم» مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين ، على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي ، وذلك في سنة ستين وثلاثمائة [2] . وعلى الرغم من التناقض الذي يتضح عند مقارنة تاريخ الإنشاء كما هو مدوَّن في اللوحة وما اتفق عليه المؤرخون أن البدء تم في سنة 361هـ/ 972م لكنه في الحقيقة لا يمثل تناقضاً حقيقياً حيث إن المؤرخين اتفقوا على أن إقامة صلاة الجمعة هو تاريخ إنشاء الجامع بينما اللوحة أثبتت الفراغ من البناء قبل أن يتم بصورته النهائية، وقد أطلق على الجامع في بداية إنشائه اسم جامع القاهرة نسبة للعاصمة الجديدة ، ولكن في عهد ولاية الخليفة العزيز بالله الفاطمي (365 – 386هـ/ 975 – 996م) تم تغيير اسم الجامع إلى اسم جديد وهو الجامع الأزهر.

وقد اختُلف في أسباب إطلاق اسم الأزهر عليه ، فذكر الحسن الوزان أنه يعنى اللامع[3]. ورأي يرى أن معناه الزاهر بالعلم ، أو نسبة للسيدة فاطمة الزهراء [4] ويرى الباحث صحة الرأيين الأولين لأن لفظ الأزهر أُطلق عليه في عهد العزيز بالله (365 – 386هـ/ 975 – 996م) وهو العهد الذي شهد الأزهر فيه ازدهار الحياة التعليمية والعلمية .

---

1 – ابن ظهيرة : مصدر سبق ذكره ، ص 182 ، 183 .

2 – المقريزي : خطط المقريزي : دار التعاون ، القاهرة ، 1968م ، جـ3 ، ص157 .

3 – الحسن الوزان: وصف أفريقيا ، تحقيق علي عبدالواحد ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، السعودية ، 1979م ، ص 379 .

4 – عبد العزيز الشناوي. الأزهر جامعاً وجامعة ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1983م ، جـ1 ، ص 29 .

اهتمام الفاطميين بالأزهر

عمائر الفاطميين للجامع :

لم يتوان خلفاء الدولة الفاطمية في الاهتمام بالجامع الأزهر ، على اعتبار أنه المقر الرسمي لنشر الدعوة الفاطمية في مصر ، وقد تنوعت مظاهر هذا الاهتمام بالجامع سواء من ناحية عمارته أو اتخاذه مقراً للاحتفالات التي لا تكل الدولة الفاطمية من إقامتها ، أو بتخصيص أوقاف للجامع.

وقد بدأت عمارة الجامع في عهد العزيز بالله (365 - 386هـ/ 975 - 996م) حيث قام بتجديده ، ثم قام الخليفة المستنصر بالله (427 - 487هـ/ 1035 - 1094م) بإضافة زخارف للجامع[1] ، كما قام الخليفة الحافظ لدين الله (520 - 544هـ/ 1130 - 1149م) بإنشاء مقصورة بجوار الباب الغربي للجامع سُميت بمقصورة فاطمة الزهراء[2] .

أما عن الأوقاف التي خُصِّصت للأزهر فأشهرها الوقفية الخاصة بالحاكم بأمر الله التي خصصها للجامع الأزهر وجامع راشدة ودار الحكمة ، حيث جعل نصيب الأزهر من هذه الوقفية مقدار الخمس والثمن ونصف السدس ونصف التسع[3] ، وجُعلت هذه الأنصبة للصرف على عمارة الجامع ، ولدفع مرتبات الخطيب والموظفين بالجامع ، وقد بلغ عدد الموظفين حوالي ثلاثة أئمة وخمسة عشر مؤذناً للصلاة ، وأربعة ملاحظين ومعهم مشرف الجامع. ولم تتوقف جهود الحاكم على إصدار الوقفية فقط بل أضاف أيضاً لعمارة الجامع ، حيث أمر بإضاءة الجامع في ليالي شهر رمضان وخصص لذلك

---

1 - المقريزي : الخطط ، ج 3، ص160.

2 - مقصورة فاطمة الزهراء ، سميت بهذا الاسم لأن السيدة فاطمة الزهراء ظهرت في المنام عندما للخليفة الحافظ لدين الله (520 - 544هـ/ 1130 - 1149م) . انظر المقريزي : المصدر السابق ، جـ3 ، ص 160.

3 - معنى مقدار الخمس ونصف السدس ونصف التسع من قيمة الوقفية المخصصة للجامع وهي ألف دينار . المقريزي: نفسه ، ج3 ، ص158 .

سبعة وعشرين قنديلاً وتنورات من الفضة [1].

كما أن الأزهر أصبح مكاناً تجرى فيه الاحتفالات الدينية التي كان يقيمها الخلفاء الفاطميون ، ومن أشهر هذه الاحتفالات «الاحتفال بشهر رمضان» حيث كان الخلفاء يخصصون أول جمعة من شهر رمضان للصلاة في الجامع الأزهر ، وكان الخلفاء يمتطون ظهور الخيل ويسير بين يدي الخليفة رجال الدولة والخدم ، ويرتدي الخليفة ملابس مخصصة تتكون من طيلسان أبيض [2] وملابس حريرية ، وعمامة بالقصب ويسير هذا الموكب حتى باب الجامع الأزهر ، ويبدأ في الصعود للمنبر بمصاحبة قاضي القضاة ، ثم يخطب لصلاة الجمعة ويقوم بالدعاء لآبائه وأجداده ، ويعود الموكب ثانية بعد انقضاء الصلاة.[3] كما كان الجامع الأزهر مقراً أيضاً للاحتفال بليالي الوقود الأربع وهي ليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه [4]حيث تُضاء جنبات الجامع. وكان توقيت الاحتفال يبدأ من بعد غروب الشمس ، وبعدها يخرج موكب قاضي القضاة الذي يكون على رأس الموكب ، ويسير محاطاً بمجموعة من الحجّاب والقراء ، ويشق الموكب طريقه في المدينة وكلما مر بمسجد يقف المؤذنون ويحمدون الله سبحانه ويدعون للخليفة [5].

أما المناسبة الأخرى التي كانت تتم في الجامع الأزهر فهي مناسبة يوم عاشوراء في العاشر من شهر محرم كل عام. وهو ذكرى استشهاد الإمام الحسين (رضي الله عنه) ، وكان هذا العيد يبدأ من صبيحة اليوم. وتبدأ مظاهر هذه المناسبة بخروج موكب مكوّن من قاضي القضاة والشهود ، وهم يرتدون الملابس السوداء رمزاً للحزن ، ويتوجهون للجامع الأزهر ، حيث يجلس كبار رجال الدولة ويحيط بهم العلماء والأعيان ، ثم يأتي

---

1 - المقريزي : الخطط ، ج 3، ص159 .

2 - المقريزي : المصدر السابق ، ج3 ، ص172 .

3 - المسبحي : أخبار مصر في سنتين ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1980م ، ص 180.

4 - القلقشندي : صبح الأعشى ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، 1980، جـ3 ، ص 497 .

5 - القلقشندي : المصدر السابق ، جـ3 ، ص 497 .

الوزير ويجلس بجواره قاضي القضاة ويبدأ القراء في قراءة القرآن الكريم، ويبدأ الشعراء بعدها بإلقاء قصائدهم الشعرية في رثاء الحسن والحسين، وكان يستغرق هذا الاجتماع مدة ثلاث ساعات [1].

1 - المقريزي: الخطط، ج3، ص497.

obeikandl.com

2 - الأزهر في العصر الأيوبي

1 – موقف الأيوبيين من الأزهر:

نتيجة للضعف الذي اعترى الدولة الفاطمية في أخريات عهدها ، وأيضاً لعدم استطاعة الخلفاء الفاطميين السيطرة الكاملة على شئون الدولة ، والمنافسة التي قامت بين وزراء الدولة الفاطمية في مصر ، أصبحت الفرصة مهيأة لظهور الدولة الأيوبية . وقد حانت تلك الفرصة بعد تولي شاور الوزارة في العام 558هـ/ 1162م وقيام منافسة بينه وبين ضرغام الذي انتزع الوزارة من شاور ، مما اضطر ضرغام للاستنجاد بالصليبيين واستنجد شاور بنور الدين محمود بن عماد الدين زنكي والذي ورث أملاك أبيه في الشام ، وطلب منه المساعدة في إرجاعه للحكم . فأرسل نور الدين محمود القائد أسد الدين «شيركوه» على رأس قوة لمصر لإعادة شاور للحكم ، وقد استطاع أسد الدين قتل ضرغام وأعاد شاور لتولي الوزارة[1] .

وبعد تولي شاور الوزارة مرة ثانية حدث خلاف بينه وبين أسد الدين شيركوه فاستنجد شاور بالصليبيين مرة ثانية وثالثة ولكن أسد الدين في حملته الثالثة على مصر نجح في إقصاء شاور من الحكم والقضاء عليه وتولي الوزارة . وبعد وفاته تولى صلاح الدين الأيوبي الوزارة في سنة 564هـ/ 1168م ، وأصبح الحاكم الحقيقي لمصر ودعا في الخطبة للخليفة العباسي في مستهل شهر المحرم عام 567هـ/ 1171م ومات الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بعد ذلك بأيام ، وبذلك انتهى عصر الدولة الفاطمية وقام عصر جديد هو عصر الدولة الأيوبية التابعة لخلافة سنية وهي الخلافة العباسية، ومن ثم بدأ صلاح الدين الأيوبي عهده بمحاولة القضاء على مظاهر الدولة الفاطمية الشيعية ، وكان قد بدأ في تلك السياسة في أواخر عصر الخليفة العاضد ، حينما أمر بإقامة الخطبة لبني العباس ، وإن كان قد تردد في القيام بهذا العمل في البداية ، وفي الحقيقة فإن

---

1 – المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ2 ، ص333 .

أمر قطع الخطبة لم يكن في تفكيره[1] ولكنها كانت بتوجيهات من السلطان نور الدين محمود ، وكان السبب وراء تردده هو الخوف من مواجهة المتعصبين للمذهب الإسماعيلي والدولة الفاطمية التي لم يكن قد قضي عليها بعد وكان من نتائج قطع الخطبة للخليفة العاضد ، أن تشجع أهل السنة على الشيعة وطاردوهم حتى أصبحت هذه الأحداث من الأعمال المشهورة[2] .

أما الخطوة الأخطر من ذلك فقد كانت قطع الخطبة عن الجامع الأزهر بعد قيام الدولة الأيوبية ، عندما استفتى صلاح الدين الأيوبي القاضي «صدر الدين بن درباس»[3] فأفتى ابن درباس بعدم جواز إقامة خطبتين في بلد واحد ، طبقاً للمعمول به في المذهب الشافعي فأبطلت خطبة الجمعة في الجامع الأزهر مع إقرارها بجامع الحاكم بحجة أنه أوسع[4]. وقد تعرض الأزهر لنفس الموقف حتى في عهد الدولة الفاطمية ، عندما قُطعت منه الخطبة بعد بناء جامع الحاكم في سنة 393هـ/ 1002م ثم أعيدت إليه مرة أخرى إلى أن قام صلاح الدين الأيوبي بإبطالها منه. أما التعليم في الأزهر فقد حاول صلاح الدين إيجاد بدائل منه أيضاً ، مثل قيامه بإنشاء سلسلة من المدارس بغرض صرف الأنظار عنه[5].

محاولة إيجاد بدائل للتعليم غير الأزهر:

لكي يتلاشى صلاح الدين الأيوبي نفوذ ودور الأزهر في الحياة الثقافية والدينية في مصر على اعتبار أنه أكبر مركز للدعوة الشيعية ، بينما أصبحت مصر دولة سنية ، بدأت

1- أبو شامة : الروضتين ، ص492 .

2 - أبو شامة : المصدر السابق ، ص492 ، 493 .

3 - صدر الدين بن درباس : أبو القاسم عبد الله بن عيسى الكردي ، ولد بالموصل عام 416هـ/ 1025م بالموصل، وتلقى العلم على يد أبي الحسن المرادي تولى منصب القضاء في عهد صلاح الدين وأصبح قاضياً للقضاء الشافعي ، توفي عام 496هـ/ 1102م. انظر السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص 153 .

4 - السيوطي : المصدر السابق ، جـ2 ، ص 252 .

5- ابن ظهيرة : مصدر سبق ذكره ، ص 183 .

الدولة الأيوبية في سياسة بناء المدارس ، حتى يمكنها القضاء على الدور الذي يقوم به الأزهر في التعليم ، وكانت فكرة إنشاء المدارس في العالم الإسلامي قد بدأها قديماً الوزير (نظام الملك)[1] وأول مدرسة أنشئت في بغداد كانت في سنة 459هـ/ 1066م وهي المدرسة النظامية . أما في مصر فإنها لم تكثر بها المدارس حيث إن الفاطميين لم يكونوا محبذين لإلقاء الدروس في المدارس[2]. ولما جاء الأيوبيون تبنوا سياسة إنشاء المدارس ليقضوا على دور الجامع الأزهر التعليمي خوفاً من قيامه بالدعوة للمذهب الشيعي وللدولة الشيعية الزائلة[3] .

ومن أشهر المدارس التي أنشئت في عهد الدولة الأيوبية المدرسة الناصرية التي أنشئت في سنة 566هـ/ 1170م بجوار جامع عمرو بن العاص ، وقد تم تخصيصها لتدريس المذهب الشافعي ، وعُرفت هذه المدرسة بعدة أسماء فأطلقت عليها مدرسة «زين التجار»[4] كما أطلق عليها اسم المدرسة الشريفية ، وتعتبر هذه المدرسة أول مدرسة قام بإنشائها صلاح الدين في مصر في أواخر حكم العاضد.

ومن المدارس التي أنشئت أيضاً في عهد صلاح الدين الأيوبي المدرسة القمحية في سنة 566هـ/ 1170م ، وقد خُصِّصت هذه المدرسة لتدريس المذهب المالكي ، وكانت تقع بالقرب من جامع عمرو بن العاص أيضاً والسبب في تسميتها بهذا الاسم ، تخصيص أراضٍ في الفيوم كانت تغل قمحاً للإنفاق عليها[5]. ومن المدارس المشهورة أيضاً المدرسة السيوفية التي أنشئت في سنة 572هـ/ 1176م وكانت مخصصة لتدريس

---

1 – نظام الملك : قوام الدين الحسن بن علي الطوسي ، كان وزيراً للسلطان السلجوقي ملك شاه عدة عشر سنوات/ وهو من أشهر أعماله بناء المدرسة النظامية ببغداد في سنة 459هـ/ 1066م . انظر السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص 255.

2 – المصدر السابق ، ص 255 ، 256 .

3 – عبدالعزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره . ص97 .

4 – سبب تسمية المدرسة بهذا الاسم (زين التجار) لأن الذي تولى التدريس فيها أبو العباس بن المظفر بن الحسين الشافعي ، المتوفى عام 591هـ/ 1194م . انظر المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 315 ، 316 .

5 – المقريزي: المصدر السابق ، جـ3 ، ص316 .

المذهب الحنفي[1]. كما قام صلاح الدين الأيوبي في نفس العام المذكور بإنشاء المدرسة الصلاحية التي خُصِّصت لتدريس المذهب الشافعي ، وقام بالتدريس فيها «نجم الدين الخبوشاني»[2] و«الشيخ صدر الدين أبو الحسن محمد بن حمويه الجويني»[3] وكانت تقع هذه المدرسة بالقرب من جامع الإمام الشافعي.

ولم يكن بناء المدارس وقفاً على فترة حكم صلاح الدين فقط ، بل تبارى خلفاؤه في سياسة إنشاء المدارس . ومن أشهر المدارس التي أنشئت في عهدهم مدرسة «ابن شاس»[4] التي قام بإنشائها الملك العادل وكانت مخصصة لتعليم المذهب المالكي[5]. وفي عهد الملك الكامل قام بإنشاء المدرسة الكاملية في سنة 622هـ/ 1225م وخصصت لتدريس الحديث النبوي الشريف ومن أشهر مدرسيها الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن[6] وأخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن[7].

ويلاحظ على إنشاء المدارس أنها لم تكن وقفاً على الملوك فقط ولكن قام بإنشائها أيضاً الأفراد والخدم ، ومن أشهر المدارس التي أنشأها الأمراء هي المدرسة الصيرمية

---

1 - المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص318 .

2 - نجم الدين الخبوشاني : نجم الدين أبو البركات محمد بن سعيد ، تتلمذ على يد محمد بن يحي ، وله كتاب المحيط في شرح الوسيط ، وكان من العلماء المقربين لصلاح الدين الأيوبي ، وتولى المدرسة الصالحية تدريساً ونظارة ، وكان له مرتب معلوم عبارة عن أربعين ديناراً وستين رطلاً من الخبز ، توفي عام 587هـ/ 191 ام ودفن في قبة مفردة. انظر السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص257 .

3 - صدر الدين أبو الحسن : محمد بن حمويه الجويني ، تولى التدريس بالمدرسة الصلاحية ، وكان يقوم بتدريس الفقه الشافعي ، توفي عام 639هـ/ 1247م. انظر ، المصدر السابق ، جـ2 ، ص 257 ، 258 .

4 - سميت هذه المدرسة بهذا الاسم نسبة للفقيه جلال الدين أبي حسن عبد الله بن نجم بن شاس المتوفى سنة 616هـ/ 1219م. انظر المقريزي : نفسه ، جـ3 ، ص 318 .

5 - المصدر السابق ، جـ3 ، ص318 .

6 - أبو الخطاب : عمر بن حسن بن علي السبتي ، أندلسي الأصل ، اشتهر بعلم الحديث ، وكان له اهتمام بعلم اللغة ، تولى منصب مشيخة الكاملية ، توفي في شهر ربيع الأول عام 633هـ/ 1235م. انظر ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، جـ6 ، ص 258 ، 296 .

7 - السيوطي : نفسه ، جـ2 ، ص 262 .

التي أنشأها الأمير «جمال الدين شويخ بن صيرم»[1] وكان موقعها بالقرب من سويقة أمير الجيوش . كما أن خدام القصر أيضاً كان لهم باع في إنشاء المدارس مثل الخادم «شمس الخواص مسرور» الذي قام بإنشاء المدرسة المسرورية[2].وقد بلغ تعداد المدارس في عهد الأيوبيين ما يقرب من إحدى وعشرين مدرسة في فترة حكمهم التي لم تزد عن واحد وثمانين عاماً . وبذلك تكون الدولة الأيوبية قد سنّت فكرة جديدة في مصر وهي إنشاء المدارس التي ستصبح سمة عامة بعد ذلك في مصر وخصوصاً في عهد سلاطين المماليك. وكان الغرض من ذكر هذه المدارس هو بيان مدى محاولة الدولة الأيوبية محاربة الأزهر وتقليص دوره في الحياة التعليمية والعلمية في مصر. لكن الأزهر كان له تأثير على هذه المدارس من حيث العلوم التي كانت تدرس وأسلوب التدريس.

أما عن العلوم التي كانت تدرس في المدارس الأيوبية فهي كما يتضح من أغراض إنشاء المدارس علوم الفقه الإسلامي وما يلزمها من العلوم التي تساعد على فهم النصوص الفقهية ، مثل علوم اللغة والبيان[3].

وكان أسلوب التدريس في هذه المدارس ، يعتمد على الطرق التي كانت سائدة في التعليم في الجامع الأزهر في معظم المعاهد العلمية وهي طريقة الإملاء والإقراء والتلقين[4].

أما من ناحية الإنفاق على هذه المدارس في عهد الأيوبيين فتعددت موارد الإنفاق فكانت كما هو الحال في عهد الفاطميين بالنسبة للجامع الأزهر ، وكانت هذه الموارد

---

1 – ابن صيرم : جمال الدين شويخ ، كان من أفراد الملك الكامل ، بنى هذه المدرسة بالقرب من سويقة أمير الجيوش ، توفي عام 636هـ/ 1238م. انظر المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص340.

2 – المدرسة المسرورية : كانت دار شمس الخواص مسرور ، خادم من خدام القصر ، أوصى بها بعد وفاته لأنها كانت داره ، وله هذة آثار منها خان مسرور الصفدي . انظر ، المصدر السابق ، جـ3 ، ص340

3 – السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص263 .

4 – عن طريقة الإلقاء والإملاء والتلقين . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ11 ، ص 251 .

عبارة عن الأوقاف التي خصصها الأيوبيون لهذه المدارس[1] ، ولم يبخل أحد من حكام هذه الدولة في الإنفاق على هذه المدارس ، فقد ذكر الرحالة ابن جبير الذي قام بزيارة مصر في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي وشاهد إنشاء المدرسة الصلاحية ، أن هذا السلطان عندما كان يتفقد أعمال بناء هذه المدرسة كان يقول للقائم على إنشائها «زد احتفالاً وتأنقاً وعلينا القيام بمؤنة ذلك كله»[2] ، ومعناه أنه على القائمين بإنشاء المدرسة الإسراف في تجميلها وسيتحمل السلطان النفقات. والمورد الثاني الذي كانت المدارس تعتمد عليه هو الهبات والإعانات التي كان يجود بها أهل الخير من رجال الدولة.

أما عن الطلبة فقد كانت تخصص لهم رواتب لكي تساعدهم على التفرغ لتحصيل العلم ، كما كانت توجد مساكن لإقامة الطلاب وكان يراعى ذلك عند تصميم المدرسة[3].

ومن البدائل الأخرى التي أوجدها الأيوبيون في مصر نظام الخانقاوات ، ويعتبر صلاح الدين الأيوبي المنشيء والمبتكر لهذا النظام في مصر ، وأول خانقاه أنشئت في مصر هي الخانقاه الصلاحية ، وتعرف باسم خانقاه سعيد السعداء ، والسبب في إطلاق هذا الاسم عليها أنها كانت داراً لخادم يسمى سعيد السعداء[4] . وقد خصص السلطان صلاح الدين لها وقفاً هو قيسارية الشرب [5] كما أسكن بها جماعة من الصوفية ورتب لهم الطعام والشراب وكان لهم رئيس يشرف عليهم يُختار منهم يُسمى بشيخ الشيوخ. وكانت هذه الخانقاه منذ إنشائها في سنة 569هـ/ 1173م مركزاً للتعليم وخاصة علم التصوف ، ومن أشهر من تولى الإشراف على هذه الخانقاه صدر الدين بن حمويه[6].

---

1 - أبو شامة : الروضتين ، ص 487 .

2 - ابن جبير : رحلة ابن جبير ، الهلال ، بيروت ، لبنان ، 1981م ، ص 21 .

3 - المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص316 .

4 - السيوطي: حسن المحاضرة ، ج2 ، ص260.

5 - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج3 ، ص365 ، 364 .

6 - السيوطي : المصدر السابق ، جـ2 ، ص260.

وتنفيذاً لسياسة إيجاد بدائل للتعليم في مصر غير الجامع الأزهر ، قام الأيوبيون بتشجيع العلماء على إقامة مجالس علمية في بعض المساجد الأخرى ، مثل الحلقات التي كانت تُعقد في جامع عمرو بن العاص وقد وجد هذا الجامع عناية كبيرة من السلطان صلاح الدين الأيوبي ، فقد أمر بتجديده في سنة 568هـ/ 1172م[1] وخصوصاً أن هذا الجامع يحتل مكانة بارزة في قلوب المسلمين على اعتبار أنه أول جامع أقيم في مصر ، وأول جامع أُلقيت فيه دروس علمية .

وكانت تُعقد في جنبات هذا الجامع حلقات لتدريس المذاهب الأربعة ، كما اشتهر بوجود جماعة من العلماء مثل يحي بن عبد المعطي بن عبد النور وكان مشهوراً في علوم النحو واللغة ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب الفصول في النحو ، وقد استحضره الملك الكامل للتدريس في جامع عمرو بن العاص لتدريس الأدب ، وقد توفي في عام 628هـ/ 1230م [2] .

وكان سلاطين بني أيوب قد قاموا بتخصيص زوايا بجانب جامع عمرو بن العاص لتدريس الفقه ، مثل زاوية للفقه الشافعي وخصص لها عثمان بن الناصر صلاح الدين أرضاً ينفق منها على العلماء الذين كانوا يقومون بتدريس هذا المذهب[3]. وأيضاً كانت توجد زاوية تسمى الزاوية المجدية نسبة للوزير مجد الدين أبي الأشبال وزير الملك موسى ابن العادل أبو بكر ، وجعل تدريس الفقه فيها للقاضي وجيه الدين بن عبد الوهاب البهنسي[4] ، وخصص لها أوقافاً كبيرة للإنفاق عليها .

---

1 – المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص117 .

2 – يحي بن عبد المعطي : ابن عبد النور زين الدين ، ولد عام 564هـ/ 1168م كان عالماً بالعربية قرأ على الجزولي ، وقام بالإقراء للنحو في جامع عمرو بن العاص ، من أشهر مؤلفاته الفصول ، توفي عام 628هـ/ 1230م . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ6 ، ص 197 .

3 – المقريزي : المصدر السابق ، جـ3 ، ص125 .

4 – عبد الوهاب بن الحسين بن عبد الوهاب البهنسي ، قاضي مصر ، تولى القضاء ، ثم عزل من قضاء القاهرة . وتولى قضاء الوجه القبلي ، درس بالزاوية المجدية بالجامع العتيق . وكان معاصراً للشيخ شهاب الدين القرافي ، توفي عام 685هـ/ 1286م. انظر السبكي : طبقات الشافعية ، دار هجر للنشر ، القاهرة ، 1992م ، جـ8 ، ص 317 ، 318.

وقد كان من نتائج تشجيع الأيوبيين للعلوم الدينية السنية في عصرهم ازدهار هذه العلوم وظهور طائفة من العلماء المشهورين في مختلف فروعها من أشهرهم في الفقه المالكي عبد الله بن نجم بن شاس وهو من علماء المذهب المالكي وله مصنفات من أشهرها كتاب في الفقه المالكي وكانت وفاته[1] في سنة 610هـ/ 1213م ، ومن علماء المذهب المالكي الذين ازدهر بهم العصر الأيوبي عبد الله بن علي بن الحسين الشيبي[2] ، وكان مشهوراً بابن شاكر ، وله مصنفات في الفقه المالكي منها كتاب البصائر كما قام هذا العالم بإنشاء مدرسة ورباط خاصين به وكانت وفاته في سنة 622هـ/ 1225م.

ومن علماء المذهب الشافعي «صدر الدين بن حمويه» المتوفى عام 639هـ/ 1247م وأيضاً اشتهر من علماء المذهب الشافعي ابن زين النجار[3] ، ومن علماء المذهب الحنفي الجريري[4] والغزنوي[5]. ومن علماء المذهب الحنبلي الحراني[6]. وبالنسبة لعلم

---

1 - ابن فرحون : الديباج المذهب ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1996م ، ص 229 .

2 - عبدالله بن علي بن الحسين بن عبدالخالق الشيبي المالكي تفقه في مذهب مالك ، دخل الإسكندرية وتفقه بها على أبي القاسم مخلوف ، كان مؤثراً للعلماء والصالحين (الديباج المذهب 1 / 450).

3 - ابن زين النجار : أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقي ، أحد أعيان الشافعية كان يُعرف بابن زين النجار ، تولى التدريس في المدرسة الناصرية حتى عُرفت باسمه ، وتوفي عام 591هـ/1194م. انظر المقريزي: الخطط ، جـ3 ، ص315 – 316 .

4 - الجريري : عبد الله بن محمد بن سعد الله الجريري ، ولد عام 513هـ/ 1119م ببغداد ، وكان يُعرف باسم ابن الشاعر ، برع في المذهب الحنفي وقدم مصر بمعرفة صلاح الدين الأيوبي ، وتولى التدريس بالمدرسة السيوفية ، توفي عام 584هـ/ 1188م . انظر السيوطي : المحاضرة ، جـ1 ، ص 464 .

5 - الغزنوي : محمد بن يوسف بن محمد الغزنوي ، ولد عام 522هـ/ 1128م بغزنة وتلقى العلم على يد النعمان الكردي ، وسمع الحديث من أبي الفضل بن ناصر ، روى عنه الرشيد العطار ، توفي عام 599هـ/ 1202م بالقاهرة . انظر السيوطي : المصدر السابق ، جـ1 ، ص 498 .

6 - الحراني : نجم الدين أبو عبد الله أحمد بن حمدان الحراني ، تلقى العلم على يد عبد القادر الرهاوي ، وفخر الدين ابن تيمية ، من أشهر مؤلفاته الرعاية الكبير ، توفي عام 695هـ/ 1295م بالقاهرة . انظر السيوطي : نفسه ، جـ1 ، ص 480.

القراءات اشتهر به خلف بن أحمد المعروف بالشاطبي[1] وكان عالماً في القراءات والنحو واللغة ، وهو صاحب القصيدة المشهورة بحرز الأماني ووجه التهاني في علم القراءات وعدد أبياتها حوالي 1173 بيتاً . وقد أصبحت هذه القصيدة من المقررات الواجب حفظها عند دراسة علم القراءات ، كما عمل الشاطبي بالتدريس وكانت وفاته في عام 590هـ/ 1193م ودُفن بمصر في القرافة الصغرى . وهكذا ازدهر التعليم في المدارس التي أنشأها الأيوبيون والتي أشرنا إليها .

1 – الشاطبي : أبو محمد القاسم بن خيرة بن أبي القاسم ، ولد عام 538هـ/ 1143م في شاطبة بتونس وقدم لمصر عام 572هـ/ 1176م ، وكان عالماً بالنحو واللغة ، وله القصيدة المعروفة بالشاطبية (حرز الأماني) توفي عام 590هـ/ 1193م . انظر ابن فرحون : الديباج المذهب ص323 .

obeikandl.com

3 - الأزهر في العصر المملوكي

المماليك طائفة من الأرقاء البيض ، أول من بدأ في الاستكثار منهم وشرائهم الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأسكنهم في قلعة الروضة[1] ولذلك عرفت أول دولة لهم اسم المماليك البحرية.

وقد بدأت دولة المماليك البحرية بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب وتولّت زوجته شجر الدر[2] الحكم في سنة 648هـ/ 1250م والتي تزوجت بدورها من عز الدين أيبك التركماني الذي يعتبر أول سلطان مملوكي يتولى الحكم ، وقد انفرد بالحكم ولقّب نفسه باسم الملك المعز[3]. وبعد وفاته تولى ابنه المنصور الحكم ، ونظراً لصغر سنه فقد قفز إلى سدة الحكم سيف الدين قطز في سنة 657هـ/ 1260م . ومن أشهر سلاطين دولة المماليك البحرية السلطان (بيبرس البندقداري) وآخر سلاطين هذه الدولة الملك حاجي الذي انتهت في عهده دولة المماليك البحرية في سنة 783هـ/ 1381م والتي حكمت مصر لمدة 132 عاماً.

ذلك أن الدولة بعد توليه حكم البلاد اضطربت أحوالها في أخريات عهده نتيجة لصغر سنه ، بالإضافة لتصارع فرق الجند ، واستمرت الأحوال مضطربة حتى تمكن (برقوق)[4] من التغلب على هذه الأحوال المضطربة وتسلطن في عام 784هـ/ 1382م

---

1 - السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص 34 .

2- شجر الدر : أم خليل كانت جارية للملك الصالح نجم الدين أيوب وكانت شخصية لها مهابة واحترام ، وقد أخفت موت زوجها الملك الصالح أثناء معركة المنصورة ، ثم تولت الحكم بعد فشل توران شاه ابن الملك الصالح . ثم تزوجت عز الدين أيبك وقد قتلت في سنة 655هـ/ 1257م انتقاماً منها لتآمرها على قتل زوجها . انظر ابن تغري بردي : النهل الصافي والمستوفى بعد الوافي الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1990م ، جـ6 ، ص219 ، 220.

3 - السيوطي : المصدر السابق ، جـ2 ، ص 38 .

4 - برقوق : السلطان أبو سعيد برقوق ، بن آنص ، أصله من بلاد الجركس تولى السلطة في يوم الأربعاء 19 رمضان سنة 784هـ/ 1382م واستمر في الحكم حتى 791هـ/ 1388م ، وبلغت مدة حكمه حوالي ست سنوات وثمانية أشهر . انظر ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص 15 .

وبذلك يكون أول سلاطين دولة المماليك البرجية[1] التي حكمت مصر حوالي 135 عاماً.

ومن أشهر السلاطين البرجية الذين حكموا مصر السلطان قايتباي المحمودي والسلطان قنصوة الغوري الذي انتهت في عهده دولة المماليك البرجية بعد هزيمته في موقعة مرج دابق ثم خلفه طومان باي الذي لقي الهزيمة على يد العثمانيين في موقعة الريدانية في سنة 923هـ/ 1517م . وشنقه السلطان سليم الأول العثماني وبذلك انتهت دولة المماليك في مصر[2].

وقد تضافرت عدة عوامل اقتصادية وسياسية جعلت دولة المماليك الأولى والثانية تبلغ مبلغاً عظيماً من القوة والازدهار، حيث سيطر المماليك على طرق التجارة البحرية التي تربط بين الشرق والغرب، وفرضوا المكوس والضرائب على البضائع المارة بمصر، وقد تبارى سلاطين المماليك في فرض هذه الضرائب والمغالاة فيها[3] مما در عليهم أموالاً طائلة ساعدتهم في تحقيق مشروعاتهم السياسية والعلمية وانعكس ذلك على الأزهر بطبيعة الحال.

أما من ناحية المشروعات السياسية فقد نجحوا في صد العدوان الصليبي والمغولي على العالم الإسلامي كما فتحوا أبواب مصر للكثير من العلماء والأعيان الذين فروا إليها عقب سقوط بغداد على يد التتار في سنة 656هـ[4]/ 1251م وأصبحت القاهرة ملتقى للكثير من أبناء العالم الإسلامي مما كان له أثره الكبير فيما شهده الأزهر من نهضة علمية في عهد سلاطين المماليك الذين لم يتوانوا في دعمه والاهتمام به اهتماماً كبيراً حتى صار أكبر مركز علمي في العالم الإسلامي كله.

---

1 - البرجية : سمي المماليك البرجية بهذا الاسم لأنهم كانوا يسكنون أبراج القلعة .

2 - شمس الدين محمد بن طولون : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1964م ، ص 23 ، 24 .

3 - السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص 296 .

4 - ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص 53 .

بعد أن عانى الأزهر في عصر الأيوبيين من الركود بدأ المماليك في الاهتمام به ، وكان دافعهم لذلك الاهتمام رغبة سلاطين الدولة المملوكية في التودد لعامة الشعب وحاجتهم لدعمهم ، ومن مظاهر اهتمام المماليك بالأزهر إعادة الخطبة للجامع بعد أن تعطلت فيه صلاة الجمعة ما يقرب من مائة عام . وقد بدأت إعادة الخطبة للجامع عندما أقنع الأمير عز الدين إيدمر[1] السلطان الظاهر بيبرس بإعادة تعمير الجامع الأزهر . وكان دافع الأمير لذلك العمل هو سكنه بجوار الجامع ، فاستصدر السلطان بيبرس فتوى من العلماء بجواز إقامة صلاة الجمعة في بلدين ، ولما اعترض قاضي الشافعية على الفتوى ، عزله بيبرس وعين بدلاً منه قاضياً من المذهب الحنفي[2] وافق على رأى السلطان وتمت إعادة خطبة صلاة الجمعة في الأزهر في عام 665هـ./ 1266م وحضر السلطان بيبرس أول خطبة أقيمت فيه وأمر بإعادة طلاء الجامع[3].

كما كان من مظاهر اهتمام المماليك بالأزهر إحداث منصب جديد في الأزهر وهو منصب ناظر الأزهر ، وكان الغرض منه هو ضمان الإشراف على الجامع وإدارة شئونه. وكان منصب ناظر الأزهر من المناصب التي اختص بها الأمراء والمماليك وأحياناً كان يتولاه حاجب الحجّاب ، ومن نظار الأزهر من وصل لرتبة السلطنة مثل السلطان جقمق[4]. وكان هناك قبل استحداث هذا المنصب مشرف يتولى شئون الجامع وتحت يده مجموعة من الموظفين[5]. وأول من تولى منصب ناظر الأزهر من الأمراء المماليك الأمير

---

1 – عزالدين إيدمر : بن عبد الله الظاهري ، سيف الدين التركي ، كان من عتقاء الملك الظاهر بيبرس ، تولى منصب نيابة الشام في عهد الظاهر بيبرس . وقد تعرض الأمير لمحنة في عهد السلطان قلاوون وتم سجنه وأفرج عنه في عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ، توفي بالشام عام 676هـ/ 1277م ، انظر العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، هيئة الكتاب المصرية ، القاهرة ، 1988م ، جـ1 ، ص 56 وأيضاً ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، جـ3 ، ص 183 ، 184 .

2 – السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص 252 .

3 – العيني : المصدر السابق ، جـ2 ، ص 6 .

4 – الأزهر وظيفته قديماً وحديثاً ، وثيقة ملف 9/ 4/ 1 حافظة 356 ، دار الوثائق القومية ، ص 2 .

5 – انظر وقفية الحاكم بأمر الله ، المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 158 ، 159 .

(بهادر الطواشي)[1] الذي تم تعيينه في عهد السلطان برقوق في عام 784هـ/1382م. وقد قام هذا الأمير بتنفيذ مرسوم السلطان برقوق بتحقيق المساواة بين طلبة الأزهر في مجال المواريث ، ونص هذا المرسوم كما ذكره المقريزي «بأن من مات من مجاوري الأزهر من غير وارث شرعي وترك موجوداً ، فإنه يأخذه المجاورون بالجامع»[2] .

ومن مظاهر اهتمام سلاطين المماليك بالأزهر تشجيع العلماء وتقرير الأعطيات لهم . ولم يتوقف التكريم عند المظاهر المادية فقط بل تعداه إلى المظاهر المعنوية ، حيث أصبح من السمات الملازمة لسلاطين المماليك تقريب العلماء إليهم وإسناد المناصب لهم. فعلى سبيل المثال أسند منصب المحتسب للمقريزي والعيني[3] أكثر من مرة . وأيضاً كان السلاطين يحضرون مجالس العلماء وينصتون لدروسهم بل والتلمذة على أيديهم . ولم يكن السلاطين يقربون العلماء الموجودين بالقاهرة فقط ، بل كانوا يقربون العلماء في غيرها من المدن ويرسلون لهم العطايا في بلدانهم[4]. ولذلك كان من الطبيعي أن يصبح الأزهر مجالاً لاستقطاب كثير من العلماء من مشرق ومغرب العالم الإسلامي . كما كان السلاطين يقومون بتعيين العلماء الأزهريين في المدارس التي قاموا بإنشائها[5] ، وتخصيص بنود من وقفياتهم التي خصصوها لتلك المدارس خاصة بالعلماء ، مع خلع الكساوى عليهم في المناسبات المختلفة[6] ، واصطحابهم معهم في أثناء حروبهم ، وإشراكهم كذلك في المواكب الرسمية[7] ، مع تخصيص ملابس معينة لكل طائفة منهم . وكان تقريب

---

1 – بهادر الطواشي : بهادر بن عبد الله التهامي الطواشي الرومي ، مقدم المماليك السلطانية ، وقد تولى بهادر هذا المنصب بعد الأمير الطواشي صواب السعدي المعروف بجنكل ، وكان يمتاز بالوقار وضخامة الجسم ، توفي في السابع عشر من شهر رجب عام 802هـ/1399م . انظر ابن تغري : المنهل الصافي ، جـ3 ، ص 436 .

2 – المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 162 .

3 – السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص 121 .

4 – بدر الدين العيني : السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1967م ، ص 266 .

5 – وثيقة رقم 40/ 6 مجموعة وثائق السلطان حسن ، ملاحق كتاب تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1985 ، ص 349 .

6 – ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، دار الشعب ، القاهرة ، 1960م ، جـ4 ، ص 453.

7 – شمس الدين محمد بن طولون : مفاكهة الخلان ، جـ2 ، ص 13 ، 14 .

السلاطين للعلماء يزداد في حالة الخطوب والمحن[1] . كما كانوا يكثرون من الاهتمام بعمارة الأزهر وغيره من الجوامع قربى إلى الله سبحانه وتعالى وتقرباً للشعب .

عمائر المماليك للأزهر:

يتميز العصر المملوكي بصفة عامة بأنه عصر العمارة الإسلامية نظراً لاهتمام السلاطين بالمنشآت ذات الطابع الديني مثل المساجد والخانقاوات والأربطة والتكايا ، ويظهر ذلك الاهتمام من خلال حجج الأوقاف التي تم تخصيصها لهذه المنشآت[2]. بل إن يد التعمير والإصلاح امتدت لتشمل إنجازات غيرهم من الملوك السابقين ، ولذلك كان من الطبيعي أن يجد الجامع الأزهر اهتماماً ورعاية وعناية كبيرة وقد تنوعت مظاهر هذا الاهتمام من الإضافة المعمارية للجامع إلى إنشاء مدارس ملحقة به لتواصل نفس رسالته .

وقد كانت أول إضافة معمارية في الأزهر هي ما قام به الأمير عز الدين إيدمر[3] في سنة 665هـ/ 1266م من تخصيص جزء كبير من أمواله الخاصة بالإضافة للتبرعات التي قام بجمعها من السلطان الظاهر بيبرس لترميم الجامع الأزهر فأصلح حوائطه وأعاد طلاءها[4] وقد تمت عمارة أخرى على يد الأمير (سلار)[5] بعد وقوع الزلزال الذي ضرب مصر في شهر ذي الحجة سنة 702هـ/ 1302م[6]. وأيضاً تمت عملية أخرى لتعمير الجامع على يد القاضي (نجم الدين محمد بن حسين) محتسب القاهرة[7] ، أما من ناحية

---

1 – الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994 ، جـ4 ، ص 81

2 – حجة بيبرس : م 126 رقم عام 30، دار الوثائق القومية ، القاهرة .

3 – انظر ترجمة ص 28 ، حاشية رقم (2) .

4 – المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 76 .

5 – الأمير سلار : بن عبد الله المنصوري ، سيف الدين ، كان نائب السلطنة في مصر ، وكان يشتهر بحبه للخير ، وأنفق الكثير على المشروعات الخيرية في مثله ، انقلب عليه السلطان الناصر محمد بن قلاوون وحبسه في القلعة وظل محبوساً حتى توفي عام 710هـ/ 1330م . انظر ابن تغري : المنهل الصافي ، جـ4 ، ص 5 – 13 .

6 – المقريزي : المصدر السابق ، جـ3 ، ص 161 .

7 – لم يعثر على ترجمة للقاضي نجم الدين محمد بن حسين ، وإنما ذكر اسمه فقط في المقريزي، انظر المصدر السابق ، جـ3 ، ص 161 .

المآذن التي قام السلاطين بإنشائها ففي سنة 800 هـ/ 1397م تم هدم المئذنة القصيرة بالجامع وتم بناء مئذنة أطول منها ، بلغت تكاليفها حوالي خمسة عشر ألف درهم ، وأقيم احتفال كبير بإنشاء هذه المئذنة التي أضيئت بالأنوار واجتمع القراء يقرئون آيات القرآن الكريم. وكان إنشاء هذه المئذنة في عهد السلطان برقوق ، وقد تم هدمها في سنة 817هـ/ 1414م نتيجة لعيب ظهر فيها[1] وكادت أن تسقط فتم إنشاؤها من الحجر[2] وأُخذت أحجارها من مدرسة الأشرف خليل(وقد قامت محاولة تشجير الجامع من خارجه ولكن الأشجار لم تنمُ ، ثم توجت الأعمال العمرانية للجامع بإنشاء العديد من المآذن ، مثل المئذنة التي قام بإنشائها الملك الأشرف قايتباي في سنة 883هـ/ 1468 – 1469م) وأيضاً قيام السلطان قنصوة الغوري ببناء مئذنة ذات رأسين تُعرف بمئذنة السلطان الغوري[3].

ولم تقتصر الإضافات المعمارية على المسجد من الخارج فقط ، بل امتدت يد العمران والإصلاح لتشمل الجامع الأزهر من الداخل ففي سنة 818هـ/ 1415م بدأ في إنشاء صهريج للمياه وبأعلاه مكان لجريان المياه ، كما تم إنشاء ميضأة للجامع وكانت تحتل مكان المدرسة الاقبغاوية[4].

ولما هُدمت قام الأمير (بدر الدين جنكل)[5] ببناء ميضأة جديدة بدلاً منها[6].

---

1 – المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 162 .

2 – المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، دار الكتب ، 1972م ، جـ4 ، قسم 2 ، ص 698 .

3 – ابن إياس : مصدر سبق ذكره ، جـ10، ص 143 .

4 – المدرسة الأقبغاوية : بناها الأمير أقبغا عبد الواحد ، وتقع على يسار الداخل للجامع الأزهر ، ويتميز بوجود منارة من حجارة منحوتة ، وتعتبر أول مئذنة في مصر مبنية من الحجر ، وكان يدرس في هذه المدرسة المذهب الشافعي ، ويسكنها جماعة من الصوفية. أما الأرض التي بنيت عليها المدرسة فكانت ملكاً للأمير عز الدين إيدمر الحلي . انظر المقريزي : المصدر السابق ، جـ3 ، ص 349 ، 350.

5 – بدر الدين جنكل : بدر الدين جنكل بن البابا ، كان رئيساً للجيمة ، وتولى عدة مراكز ومناصب في عهد السلطان محمد بن قلاوون ، اشتهر بحبه للعلم ، توفي في عام 746هـ/ 1345م . انظر ابن تغري : المنهل الصافي ، جـ3 ، ص 21 ، 22 .

6 – المقريزي : نفسه ، جـ3 ، ص 162 .

ولم تقتصر عمارة الجامع الأزهر على المباني فقط بل امتدت أيضاً لتعميره من الناحية العلمية والتعليمية ، فقد قام الأمير (بدر الدين بيليك)[1] بإقامة مقصورة بالجامع خُصصت لتدريس المذهب الشافعي ، وتدريس الحديث النبوي الشريف ، كما رتب جماعة لقراءة القرآن الكريم وخصص لها أوقافاً للإنفاق منها على العلماء[2].

كما أضاف المماليك إلى الجامع الأزهر مجموعة من المدارس لكي تكون رافداً من روافد الأزهر ، وكانت تعتمد عليه في إمدادها بالمدرسين ومن أشهر هذه المدارس:

المدرسة الطيبرسية

قام بإنشائها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار[3] ، نقيب الجيوش وتقع هذه المدرسة على يمين الجامع الأزهر ، وكان الغرض من إنشائها أن تصبح مسجداً ثم قرر لها مدرساً للفقه الشافعي[4] ، وتتميز هذه المدرسة بنمط معماري مميز ، من حيث كثرة عدد الرخام المستخدم في بنائها ووجود سقف مذهب بها ، ثم تم إلحاق مكتبة بها . وكان الفراغ من بناء هذه المدرسة في سنة 709هـ/ 1309م واشتهرت هذه المدرسة بمجموعة من المدرسين فيها مثل العلامة (سعد بن محمد بن عجلون الأزهري)[5] المولود في سنة

---

1 – بيليك : بن عبد الله الظاهري الخازندار ، كان يتولى منصب نائب السلطنة بمصر ، ومقدم الجيوش ، اشتهر بحبه للخير والصدقات ، أوقف على الجامع الأزهر لتدريس المذهب الشافعي ، توفي عام 676هـ/1277م ودفن بتربته في القرافة . انظر ابن تغري بردي : مصدر سبق ذكره ، جـ7 ، ص 153 ، 154 .

2 – ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص 184 .

3 – علاء الدين طيبرس : ابن عبد الله الوزيري ، كان في خدمة الأمير بدر الدين بيليك ، ثم انتقل خدمة الأمير بدر الدين بيدرا ، ثم تولى نقابة الجيوش في عهد السلطان لاجين ، وقد اشتهر بالطهارة ونظافة اليد ، من أشهر أعماله إنشاء خانقاه بأرض الشط ، توفي عام 719هـ/ 1319م . انظر المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 348 .

4 – المقريزي : المصدر السابق ، جـ3 ، ص 348 .

5 – سعد بن عجلون : كان من العلماء المشهورين بالخير ، وكان يحفظ القرآن الكريم ويلازم الذكر والعبادة ، توفي سنة 839هـ/ 1435م . انظر السخاوي ، الضوء اللامع ، مكتبة المقدسي ، القاهرة ، 1353هـ ، جـ3 ، ص 248 .

839هـ/ 1435م وكذلك الشيخ محمد بن أبي الفتوح الشافعي المعروف بابن الريس[1].

المدرسة الأقبغاوية:

ومن المدارس أيضاً التي أنشئت في عصر المماليك المدرسة الأقبغاوية وقام بإنشائها الأمير (علاء الدين أقبغا بن عبد الواحد)[2] استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون وتقع على يسار الجامع الأزهر ، وتم إنشاؤها على يد المعلم ابن السيوفي[3] رئيس المهندسين ، وأقيمت على أرض مغتصبة من دار الأمير (عز الدين إيدمر) ، كما تم ضم ميضأة الجامع لهذه المدرسة[4]. وتتميز المدرسة بوجود مئذنة من الحجر المنحوت وتعتبر أول مئذنة في مصر مبنية من الحجر ، وقد قرر فيها أقبغا إماماً ومؤذناً ووضعت تحت إشراف القاضي الشافعي في مصر[5]. ومن المدارس الملحقة بالأزهر المدرسة الجوهرية ، وقد بناها الأمير جوهر القنقبائي[6] في سنة 844هـ/ 1440م ، وهي مدرسة صغيرة الحجم ومكانها في شرق الإيوان الشرقي للجامع الأزهر ، وقام بالإشراف على

---

1 - ابن الريس : محمد بن علي بن أحمد بن إسماعيل أبو الفتح ، ولد في عام 820هـ/ 1417م بالقاهرة وتلقى العلم بها وتتلمذ على يد السخاوي ، وكان يدرس في المدرسة الطيرسية ، وسمي ابن الريس لأن أباه كان كبير الوقاد بالأزهر ، توفي عام 862هـ/ 457م . انظر السخاوي : مصدر سبق ذكره ، جـ8 ، ص 157 .

2 - أقبغا بن عبد الواحد . الأمير علاء الدين وبقية اسمه عبد الواحد نسبة للتاجر الذي باعه للناصر محمد بن قلاوون ، وقد عمل استاداراً للملك الناصر محمد بن قلاوون ، وتولى منصب مقدم المماليك ، وقد اشتهر بالظلم والطمع وجمع بذلك ثروة كبيرة ، مات مقتولاً في سنة 744هـ/1343م . انظر المقريزي : الخطط ، جـ3، ص 350 - 352 .

3 - السيوفي : كان رئيس المهندسين في عهد الملك الناصر ، وكان من أشهرهم وأشهر أعماله بناء الجامع المارداني خارج باب زويلة ، وبنى مئذنته بالإضافة لقيامه ببناء المدرسة الأقبغاوية . انظر المقريزي : المصدر السابق ، جـ3، ص 349.

4 - المقريزي : المصدر السابق ، جـ3 ، ص 349 .

5 - المقريزي : نفسه ، جـ3 ، 350.

6 - جوهر القنقبائي : بن عبد الله الطواشي الحبشي الخازندار ، كان أصله من خدام الحطي داود بن سيف أرعد ملك بلاد الحبشة ، وتم إهداؤه للسلطان برقوق ، وقد تولى منصب الخازندارية ، وامتاز بالعقل والسكون من أشهر أعماله بناء المدرسة الجوهرية في عام 844 هـ/ 1440م كما اشتهر بالزهد والصلاح ، توفي عام 844هـ/1440م عن عمر يناهز سبعين عاماً . انظر ابن تغري : المنهل الصافي ، جـ3 ، ص 38 - 42 .

المدرسة مشايخ كثيرون من أشهرهم الشيخ (محمد عبد الرحمن المحب الحسني)[1] الذي كان يقوم بتدريس المنطق فيها وتوفي ربيع الأول سنة 823هـ/ 1420م. وباهتمام المماليك بالأزهر على النحو الذي ذكرناه ، يكون الأزهر قد استكمل مقومات نجاحه في الدور الذي سيقوم به في هذا العصر ويصبح منارة علمية ذاخرة بالعلم والتعليم والمتعلمين ، وسيصبح مركز جذب لكل الدارسين في العالم الإسلامي وخاصة في أفريقيا التي نحن بصدد الحديث عنه.

1 - محمد عبد الرحمن المحب الحسني : القاهري الأزهري ، ولد في عام 774هـ/ 1372م بمكة وتلقى العلم بالقاهرة ، وكان حنفي المذهب ، اشتغل بتدريس العلوم العربية والتربية وتميز في المنطق ، من أشهر تلاميذه حسن الأعرج ، وقد تولى شياخة المدرسة الجوهرية ، وتميز بالوقار والسكون ، توفي عام 823هـ/ 1420م . انظر السخاوي: الضوء اللامع ، جـ8 ، ص 48، 49 .

obeikandl.com

4- الأزهر بعد العصر المملوكي

بعد سقوط دولة المماليك في عام 922 هـ / 1517م ، دخلت مصر في حوزة الدولة العثمانية وبدأ الأزهر يدخل في منعطف جديد ، حيث أصابه ما أصاب الحياة المصرية من جمود ، وعلى الرغم من ذلك لم تتوقف يد العمران عن الأزهر فقد شهد في عام 1067هـ / 1753م إضافات معمارية فقد قام الأمير عبدالرحمن كتخدا مقصورة جديدة بالجامع كما زاد في مساحة الجامع حيث وصل اتساعه إلى حوالي النصف ، كما قام بإنشاء الباب العمومي للأزهر[1] . كما قام عبدالرحمن كتخدا ببناء زاوية للعميان خارج الجامع ، ليدرس فيها الطلبة العميان ، وكانت تتكون من ثلاث حجرات لها أربعة أعمدة ، وشراب ، وميضأة ومغطس . وكان إنشاء هذه الزاوية في عام 1148هـ/ 1735م. ومن عمائر الأمير عبدالرحمن كتخدا إنشاء رواقي الأتراك والسليمانية .

كما قام الوزير العثماني أحمد باشا كور مزولتين[2] من الرخام للجامع وُضعت إحداهما على الواجهة الغربية للجامع ، والأخرى وضعت فوق سطحه . وقد كان هذا الوزير مهتماً بالفلك وأراد تدريسه في الجامع الأزهر[3] .

1 - أحمد محمد عوف : الأزهر في ألف عام ، مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ، 1970، ص 41 .

2 - مزولة : آلة لقياس الوقت .

3 - المرجع السابق . ص 42 .

5 - التنظيم الإداري للأزهر

منصب شيخ الأزهر:

وقد تطور الأمر وظهر منصب شيخ الأزهر في القرن الحادي عشر الهجري ، حيث تم الاتفاق على أن يتولى إدارة الأزهر الشريف ، وشئونه التعليمية أحد العلماء المشهود له بالعلم والكفاءة أيًا كان مذهبه الفقهي . وقد جرت العادة ألا يُعزل شيخ الأزهر من منصبه ، ثم أصبح يعزل بعد ذلك وأول شيخ عُزِل هو الشيخ مصطفى العروسي .

وقد كان الخديوي هو الذي يقوم بتعيين شيخ الأزهر ، وبعد إعلان اسم المرشح للخديوى يخلع عليه خلعة سنية ، ويتم ذلك في موكب كبير بحضره كافة العلماء . كما كان يراعى عند اختيار شيخ الأزهر أن يكون المرشح متفقاً عليه من جميع العلماء . وأول من تم اختياره شيخاً للأزهر هو الشيخ محمد عبدالله الخرشي . وقد بلغ عدد من تولوا منصب مشيخة الأزهر حوالي أربعة وأربعين شيخاً حتى الآن .

openkandl.com

6- القوانين المنظّمة لعمل الأزهر الشريف

أولاً: قانون عام 1885م:

صدر هذا القانون في عهد الشيخ محمد المهدي ، وهو بخصوص تنظيم من يتولى التدريس بالأزهر . واشترط هذا القانون على أن من يقوم بالتدريس في الأزهرلابد له من اجتياز امتحان في أحد عشر علماً من علوم الأزهر وهي التفسير ، والحديث ، والفقه ، والتوحيد ، وأصول الفقه ، والنحو ، والصرف ، والمعاني ، والبيان ، والبديع، والمنطق . وكان يجب على كل من يتقدم للتدريس أن يعد درساً ويلقيه أمام جماعة من العلماء ، يجتمعون في بيت شيخ الأزهر ، وإذا نجح الطالب سمح له بالتدريس في الأزهر . وكان غالباً لايسمح للتدريس سوى لستة فقط كل عام[1] .

ثانياً: قانون 1896م:

صدر هذا القانون في عهدالشيخ حسونة النواوي (1313هـ/1896م) وقد صدر القانون بالتعاون مع الإمام محمد عبده . وقد كانت أبرز ملامح هذا القانون إدخال علوم حديثة مثل الجغرافيا ، والحساب ، والجبر ، والهندسة ، والتاريخ ضمن مناهج الدراسة بالأزهر . كما وضع هذا القانون شروط الانتساب في الأزهر .

وكان من أحكام هذا القانون إنشاء الشهادة الأهلية وتُمنح لمن قضى ثمان سنوات في الأزهر ويؤدي الامتحان أمام لجنة مكونة من ثلاثة علماء . كما أنشأ القانون شهادة العالمية وكانت تمنح لمن قضى اثنى عشر عاماً في الدراسة ، ويؤدي امتحاناً أمام لجنة مكوَّنة من ستة علماء[2] .

---

1 - شوقي عطاالله الجمل : الأزهر ودوره السياسي والحضاري في أفريقيا ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1988م ص19 ، 20.

2 - المرجع السابق . ص21 .

ثالثاً: قانون 1908م:

صدر هذا القانون في عهد المشيخة الثانية للشيخ حسونة النواوي . وفيه تكون مجلس أعلى لإدارة الأزهر . وكان يتكون من ستة أعضاء وهم مفتي الديار المصرية ، وشيخ الشافعية ، وشيخ المالكية ، وشيخ الحنابلة ، واثنين من موظفي الحكومة المصرية ، وكان المجلس برئاسة شيخ الأزهر .

كما نظمت فيه الدراسة ، وقسمت على ثلاث مراحل كل مرحلة مدة الدراسة فيها أربع سنوات . وهذه المراحل هي المرحلة الأولية ، والمرحلة الثانوية ، والمرحلة العالمية ، ويُمنح الطالب بعدها شهادة العالمية .

رابعاً: قانون عام 1911م:

يعتبر هذا القانون من أهم القوانين التي صدرت لتنظيم الأزهر ، حيث تم بموجبه إنشاء المجلس الأعلى للأزهر ، وهيئة كبار العلماء ، وتم فيه وضع نظم لموظفي الأزهر من حيث التعيين ، والترقية ، والتأديب . كما نظم شروط التحاق الطلاب في الأزهر .

وكان لصدور هذا القانون نتائج هامة وهي مضاعفة عدد الدارسين في الأزهر حتى وصل عددهم في عام 1917 م إلى حوالي عشرين ألفاً من الدارسين في جنباته [1] .

خامساً: قانون عام 1923م:

نظم هذا القانون الدراسة في الأزهر وأوجد شهادة التخصص ، وهو قسم يدخله الطالب بعد حصوله على شهادة العالمية للتخصص في الفقه وأصوله والتفسير والحديث . والنحو والصرف والبلاغة والأدب . والتوحيد والمنطق . والتاريخ والأخلاق .

سادساً: قانون عام 1930م:

قام بوضع هذا القانون الشيخ مصطفى المراغي ، الذي تولى عام 1928م ، ولكنه

---

1 - شوقي عطا الله الجمل : مرجع سبق ذكره . ص 22 .

صدر في عهد الشيخ الأحمدي الظواهري . وقد قسم القانون الدراسة في الأزهر لأربع مراحل وهي الابتدائية ومدة الدراسة فيها أربع سنوات . والمرحلة الثانوية ومدة الدراسة فيها خمس سنوات . أما المرحلة الثالثة فهي المرحلة العالمية ، وقد انحصرت في الكليات الثلاث وهي كلية أصول الدين ، وكلية اللغة العربية ، وكلية الشريعة والقانون . أما المرحلة الرابعة فهي مرحلة التخصص وهو تخصص الوعظ والإرشاد ، وتخصص القضاء الشرعي والإفتاء ، وتخصص التدريس ومدته عامان . وتخصص الفقه ، وأصول الدين ، والتوحيد والمنطق ، والتفسير والحديث ، والتاريخ ، والبلاغة والأدب ، والنحو والصرف ومدة كل تخصص خمس سنوات .

سابعاً: قانون عام 1936م:

صدر هذا القانون في عهد المشيخة الثانية للشيخ مصطفى المراغي ، وقام بجمع قوانين تطوير الأزهر في قانون واحد .

ثامناً: قانون عام 1961م:

يعتبر هذا القانون من أهم القوانين التي صدرت للأزهر الشريف ، حيث قام بإضافة العلوم الحديثة للأزهر ، ونظم الدراسة فيه . وكان من أهداف هذا القانون أن يقوم الأزهر بدوره في خدمة الإسلام ، وأن يعلي من مكانة جامعة الأزهر . وأن يحصل دارسوه على قدر من المعرفة الحديثة والتي يحصل عليها أقرانهم في الجامعات الأخرى ، مع الاحتفاظ بالعلوم الدينية والعربية التي ميزت الأزهر الشريف .

والقانون يحتوي على 101 مادة مرتبة في ستة أبواب وهي الأحكام العامة والتي تتعلق باختيار شيخ الأزهر وتعيينه ، وتحدثت عن هيئات الأزهر . والباب الثاني يختص بالمجلس الأعلى للأزهر . والباب الثالث يتحدث عن مجمع البحوث الإسلامية . والباب الرابع يتحدث عن جامعة الأزهر . أما الباب الخامس فيتحدث عن المعاهد الأزهرية .

وبخصوص الباب السادس والأخير فهو عن الأحكام الانتقالية .

وقد كان من نتائج إصدار هذا القانون إنشاء كليات علمية كثيرة مثل كلية الطب ، وكلية الهندسة ، وكلية العلوم ، وكلية اللغات والترجمة وغيرها الكثير . كما كان من نتائجه اشتداد الطلب على الالتحاق بالأزهر الشريف .

obeikandl.com